صدق أحمد

عليه السلام



محمد ظفر الله خان رضي الله عنه

ṢIDQU AḤMAD

The truthfulness of Ḥaḍrat Aḥmad,
the Mahdi and Promised Messiah
(peace be on him)

The first part contains the Arabic translation of an article written by Sir Muhammad Zafrulla Khan (may Allah be pleased with him) on the truthfulness of the Promised Messiah and Mahdi (peace be on him).

The second part of the booklet contains the salient features, in Arabic, of the life of Sir Muhammad Zafrulla Khan – a great servant of Ahmadiyyat – the true Islam.

صدق أحمد عليه السلام

بقلم:

محمد ظفر الله خان رضي الله عنه

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتيب: صدقُ أحـــمد عليه السلام

ṢIDQU AḤMAD

The truthfulness of Ḥaḍrat Aḥmad, the Mahdi and Promised Messiah عليه السلام

By: Sir. Muhammad Zafrulla Khan رضي الله عنه

ARABIC TRANSLATION

Translated from English by: Maha Dabboos
First Published in England in 1997
Present Edition (UK) 2010
Cover Desinged by: Muhammad Tahir Nadeem

Published by:
Al Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane. Tilford
Surrey GU 10 2AQ (U.K.)

Printed by:
Raqeem Press
Islamabad U.K.

ISBN: 1 85372 629 X



سيدنا حضرة مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم		نحمده ونصلي على رسوله الكريم

وعلى عبده المسيح الموعود

صدق أحمد عليه السلام

قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفوَاهِهِم يُضَاهِئُونَ قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة **٣٠-٣١**)

إذا تأمل المرء هاتين الآيتين تبين لـه أنه في وقتٍ ما سيشتدّ أذى اليهود والنصارى، وستتخذ دعايتهم ضد الإسلام شكلا جديدا. وفي الآية التي تلي هاتين الآيتين مباشرة يقول الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)

هذه الآية تبين بوضوح أن دعايتهم ضد الإسلام ستكون في الغالب شفوية.. عن طريق الخطب والمؤلفات والنشرات والكتب وغيرها من المواد المطبوعة. ولكن كل مجهوداتهم ستفشل بالهجمات المضادة التي ستستمد قوتها من القوة الروحانية للرسول ﷺ. وهذا قد أعلنه الله تعالى بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

وقد اتفق المسلمون من كل المذاهب تقريبا أن انتصار الإسلام على الأديان الأخرى في الأيام الأخيرة سيتحقق على يد المهدي الذي سيظهر في بداية القرن الرابع عشر من الهجرة. وبسبب انحطاط المقاييس الأخلاقية والروحانية بينهم ولكون معظم علمائهم محرومين من المعرفة العميقة بالقرآن الكريم وفلسفته السامية الدقيقة، فقد قنطوا وبدءوا في ترويج الفكرة الانهزامية الباطلة تماما بأن انتصار الإسلام على الأديان الأخرى سيكون باستخدام القوة من قبل المهدي. وهذه الفكرة ليست مقززة للنفس ومعارضة للمنطق والفكر السليم فحسب، بل

تناقض تماما الإعلان الرباني الصريح في القرآن الكريم: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

ومن البداهة أن لا تُعتبر عقيدة أو مذهب أو فلسفة مؤسسةً على الحق إذا كان المطلوب قبولها بالقوة.

وكان مقضيًّا أن المهدي سيوطد تفوق الإسلام من خلال عرض مفصل ومنطقي لفلسفة الإسلام المذكورة في القرآن الكريم، وكان سيُنارُ فكره بالوحي الإلهي، وسيُلهَمُ بفضل الرسول ﷺ الذي سيكون مشابًها لـــه شَبَهًا تامًّا في الروحانية، كما صرح الرسول ﷺ في بيانه أن المهدي "يُدفَن معي في قبري". وهكذا فإن مجيئه كان بمثابة بعث روحي ثانٍ للرسول ﷺ، كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِم وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (الجمعة: ٤)

ولقد بين المصطفى ﷺ وقت مجيء المهدي بطريقة لا يمكن إنكارها، فقد قال:

"إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات و الأرض، ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه." (سنن الدارقطني).

وذلك يعني أن مجيء المهدي الذي سماه الرسول ﷺ باسم (مهدينا)، سيتميز بخسوف القمر في شهر رمضان في الليلة الثالثة عشر وبكسوف الشمس في نفس هذا الشهر من رمضان بعد خمسة عشر يوما من ذلك، لأن خسوف القمر يحدث في الليالي الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر للقمر، وكسوف الشمس يحدث في يوم من الأيام الثلاثة الأخيرة من الشهر القمري. وهذه الظاهرة الخاصة قد تجلت في النصف الشرقي من الكرة الأرضية يوم ٢١ مارس آذار بالنسبة إلى القمر، ويوم ٦ أبريل نيسان بالنسبة إلى الشمس في عام ١٨٩٤م. وقد تكررت في النصف الغربي من الكرة الأرضية في نفس التواريخ القمرية عام ١٨٩٥م.

وهذه الظاهرة تدعو إلى التفكر الجدي. فمن جهة كانت تجليات حددتها القوانين الطبيعية المحكمة في حركات الكواكب، ولم يكن هناك أي مجال للتدخل البشري فيها. ومن ناحية أخرى كانت آية عظيمة على صدق الرسول ﷺ. فمن المستحيل أن يكون الرسول ﷺ قد عرف أو خمن أن هذه الظاهرة ستحدث بعد ١٢٦٠ عاما من وفاته، وحتى إذا كانت هذه الظاهرة قد حدثت بنفسها فإن في التنبؤ بها- قبل حدوثها باثني عشر قرنًا

ونصف- لدليلاً قاطعًا على صدق الرسول ﷺ. ولكنها لم تكن وحدها، فقد كان لها وجه بهيّ جليل آخر.

لقد كان الغرض من حدوثها الإنذار بأن المهدي قد ظهر، وأنه يجب على الذين ينتظرون مجيئه أن يبحثوا عنه، ويؤمنوا به، ويطيعوه حتى يمكنهم أن يشاركوا في النهوض بالإسلام الذي قضى الله أن يتم على يد هذا الخادم المخلص للرسول ﷺ.. المهديِّ وأتباعِه. وإذا اكتشف أنه بالرغم من حدوث هذه الظاهرة لم يظهر المهدي فإن صدق الرسول ﷺ سيكون عرضة للشك من قبل أعداء الإسلام وأعدائه ﷺ. ولكن إذا تبين أنه قبل حدوث هذه الظاهرة كان هناك عبد مخلص للرسول ﷺ قد عاش حياة طاهرة بريئة طبقا لتعاليم الإسلام، وكان قد تلقى الوحي الإلهي المستمر، وكان بأمر من الله سبحانه وتعالى قد أعلن أنه المهدي، فإنه يمكن الترحيب بهذه الظاهرة تأكيدا جازما وجليلا لصدق الرسول ﷺ وكذلك لصدق هذا المدعي وأيضا لصدق الإسلام.

إن حضرة مرزا غلام أحمد من قاديان في الهند، الذي ولد في يوم ١٣ فبراير شباط ١٨٣٥م وتوفي يوم ٢٦ مايو أيار ١٩٠٨م، تلقى أول وحي إلهي حوالي عام ١٨٧٦م. وقد استمر في تلقي الوحي بانتظام على مدى بقية حياته. وفي الفترة من عام

١٨٧٨م وحتى ١٨٨٦م ألف كتابه التاريخي (البراهين الأحمدية) الذي أثبت فيه تفوق الإسلام على الأديان الأخرى بأسلوب رائع حتى أن أئمة علماء المسلمين في الهند اعترفوا بالإجماع بأنه أعظم بطل للإسلام. فمثلا نشر الشيخ محمد حسين البطالوي زعيم طائفة أهل الحديث في جريدته "إشاعة السنة" المجلد السابع العدد ٦ إلى ١١، استعراضًا مفصلاً للكتاب، وفي المقدمة قال:

"إن مؤلف البراهين الأحمدية - واللهُ حسيبُه - حسب تجربة المعارضين والموافقين عامل بالشريعة المحمدية، ورجل ورع وصادق. وفي رأينا.. حين نضع هذا العصر وأحواله في الاعتبار.. أن هذا الكتاب لم يُنشر له مثيل منذ بدء الإسلام إلى هذا اليوم، ولا نعلم ما يمكن أن يحدث في مستقبل الأيام. إن المؤلف قد أثبت أنه رجل مثابر في خدمة الإسلام، بالقلم واللسان، والحال والمال، وغير ذلك.. حتى أنه من النادر أن تجد له مثيلا بين المسلمين. ومن يعتبر قولنا هذا مبالغة تمشيا مع أسلوب أهل آسيا.. فعليه أن يدلنا على كتاب واحد على الأقل تصدَّى لأعداء الإسلام... بكل قوة وبرهان، وعليه أن يقدم لنا أسماء ثلاثة أو أربعة ممن قدموا للإسلام خدمات مثل ما قدم هذا الرجل، وعليه أن يبرهن لنا أنهم لم يخدموا الإسلام بأقلامهم وألسنتهم وأموالهم فحسب.. بل بأنفسهم أيضا، فتحدّوا الذين

ينكرون إمكانية الوحي أن يتأكدوا بأنفسهم من أن صاحب التحدي نفسه يتشرف بتلقي الوحي من الله تعالى... إن نفثات الشيطان دائما ما تكون كاذبة، ولكن ليس بين بشارات الوحي التي تلقاها مؤلف البراهين الأحمدية.. ولا بشارة واحدة.. ثبت كذبها إلى هذا اليوم. وعلى هذا.. فلا يمكن اعتبارها أبدا من نفثات الشيطان. هل يجوز لأي مسلم أن يعتقد أن الشيطان يمكن أن يُؤتَى مثل ما أوتي النبيون والملائكة من علم الغيب، بالشكل الذي أوحاه الله تعالى لمؤلف البراهين الأحمدية، حتى إنه لم يحدث لأي نبأ من الأنباء التي أطلعه الله عليها أن ثبت بطلانه؟"

وقد اختتم قائلا:

"إن مؤلف البراهين الأحمدية قد حفظ شرف المسلمين، وتحدى أعداء الإسلام بقوة وبراعة. لقد أعلن للعالم أجمع أن من لديه أدنى شك في صدق الإسلام، فعليه أن يأتي إليه، ويرى بنفسه الحقائق والأدلة العقلية والروحية التي تنبثق من القرآن.. ويرى المعجزات البيِّنة لمحمد ﷺ تأييدا لصدق الإسلام."

وكتب المولوي الصوفي حضرة أحمد جان من لدهيانة قائلا:

"هذا الإنسان ذو الشخصية البارزة العظيمة، الجواد على البشرية، منبع الإحسان والجود، الدليل الشخصي على صدق

الإسلام، فخر العامة والنبلاء، حضرة مرزا غلام أحمد – اللهم بارك فيه – زعيم قاديان، قد ألف كتابا سُمي "البراهين الأحمدية" باللغة الأردية. هذا الكتاب يثبت صدق الإسلام ونبوة محمد ﷺ وصدق القرآن الكريم بثلاثمائة دليل قوي، وينقض كل الأديان المعادية للإسلام بالمنطق المقنع. والآيات القرآنية التي ذكرت في المواضع المناسبة من هذا الكتاب تبلغ حوالي ثلثي القرآن بأكمله. وفي قرننا هذا وهو القرن الرابع عشر للإسلام، تعم البلبلة الشديدة بين متبعي كل دين. وفي هذا الوقت كانت هناك حاجة لكتاب مثل البراهين الأحمدية، وكانت هناك حاجة لمصلح مثل حضرة مرزا غلام أحمد الذي ظلّ مستعدًّا لإثبات حقائق الإسلام حتى يقنع الأعداء."

"إن مؤلف "البراهين الأحمدية" ليس من عامة علماء الدين والمعلمين الروحانيين، ولكنه قد اختص بالتكليف من الله، وهو يتلقى الوحي الإلهي. وقد أورد في هذا الكتاب مئات الأمثلة على الوحي الذي تلقاه بلغات متنوعة والذي اشتمل على النبوءات والرؤيا الصادقة والإشارات الإلهية والبشارات السماوية بالنصر الإلهي والهداية الإلهية، وقد تأكد ذلك بشهادة المئات من أعداء الإسلام، مما يوطد صحتها، ويثبت أن المؤلف قد كتب هذا الكتاب بالتوجيه الإلهي بلا شك. وواضح أيضا أنه

بناءً على أحاديث الرسول ﷺ فإن الله المجيد ذا الجلال سيقيم من بين المسلمين عند بداية كل قرن من يجدد الدين. ومؤلف هذا الكتاب هو مصلح القرن الرابع عشر. وهو عالم متبحر. وهو من أكمل الأفراد في المجتمع الإسلامي. وهذا أيضا يؤيده حديث آخر للرسول ﷺ حيث روي عنه أنه قال: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل." (تأثرات قاديان ص ٦٦ إلى ٦٨).

والمولوي محمد شريف من بنغلور في جنوب الهند كتب في جريدته "منشور محمدي":

"هذا الكتاب، البراهين الأحمدية، كتاب فريد من نوعه في إثبات صدق القرآن وصدق نبوة الرسول ﷺ. والمؤلف قد أثبت صدق الإسلام بالحجج الإيجابية بحيث إن كل إنسان عادل سيضطر إلى الاعتراف بأن القرآن كتاب الله، وأن نبوة الرسول لا شك فيها، وأن الإسلام دين الله، وأن ما أمر به المسلم هو الحق. وهناك العديد من الأدلة التي لم تترك للعدو أي فرصة للفرار ولا أي مجال للإنكار. كل حجة بينة وكل دليل واضح. والكتاب مرآة للدين، وهو مليء بالقرآن، يهدي إلى الطريق المستقيم. إنه المصباح الذي يضيء الطريق الصحيح. إنه مخزن للحق وكنز للهداية، ويقوم بمقام الصاعقة على الأعداء، ويحرق كل حججهم. وبالنسبة للمسلمين هو سند قوي للكتاب

الكريم. وهو دليل واضح على صدق أُمّ الكتاب حيث قلقل وأزعج كل عدو للدين.

وفي مارس آذار ١٨٨٩م أسس حضرة مرزا غلام أحمد الجماعة الإسلامية الأحمدية. وفي عام ١٨٩٠م ألف حضرته ثلاثة كتب: "فتح إسلام" و"توضيح مرام" و"إزالة أوهام". وقد نشرت هذه الكتب في النصف الأول من عام ١٨٩١م. وأعلن فيها تحت التوجيه الإلهي أنه المسيح الموعود والإمام المهدي الذي تنبأ بمجيئه في الأيام الأخيرة الرسولُ الكريم ﷺ. (البخاري، كتاب الاعتصام. والترمذي، أبواب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة، ومسلم، كتاب الفتن، باب نزول عيسى بن مريم وذكر الدجال).

وأثار هذا الإعلان معارضة عنيفة، وتجمع العلماء المسلمون بقيادة المولوي محمد حسين البطالوي الذي كان معجَبًا أشدَّ الإعجاب به ومؤيدًا متحمسًا لـــه، واتهموه بشِبْه إجماع بأنه كافر وأنه خارج عن دين الإسلام. وقد قذفوه بالشتائم الرذيلة، وأعلنوا أنه مرتد، كما أعلن بعضهم أن في قتله ثوابًا عظيمًا، وأن من يفعل ذلك يدخل الجنة مباشرة.

وكما ذكرنا في ما سبق أن آيتي ظهور المهدي اللتين تنبأ بهما الرسول ﷺ ظهرتا بوضوح بعد فترة تزيد بقليل على ثلاثة سنوات من إعلان حضرة مرزا غلام أحمد بأنه المهدي. وقد كان

هذا دليلاً واضحًا على صدق دعواه. ومن الجدير بالملاحظة أن القرن الرابع عشر كان قد انقضى بدون أن يعلن أحد، غير حضرة مرزا غلام أحمد، أنه المهدي الذي تنبأ بمجيئه الرسول ﷺ، إذن فإن رفض الإيمان به سيعادل رفض الإيمان بنبوءة عظيمة للرسول ﷺ، ويعطي أعداء الإسلام فرصة للتشكيك في صدق الرسول ﷺ. وهذا ما يجب تجنبه.

ولكن الآيتين اللتين أعلن عنهما الرسول ﷺ ليستا وحدهما الدليل القاطع على صحة إدعاء حضرة مرزا غلام أحمد، بل هناك أدلة كثيرة أخرى يصعب ذكرها في مثل هذا البيان المختصر، ولكن يمكن أن نذكر واحدًا أو اثنين من الأدلة الجوهرية.

إن المسألة الحاسمة هي أن حضرة مرزا غلام أحمد قد أكد أنه منذ أن بلغ حوالي الأربعين من عمره قد تلقى الوحي الإلهي بانتظام. وإذا كان قوله هذا صادقا فمن الضروري أن يكون حقًّا كلُّ ادعائه المبني على الوحي الإلهي أو المستنتج منه وأنه يجب قبوله. أما إذا كان قوله هذا باطلا فإنه يكون، والعياذ بالله، محتالا ويجب أن يدان بذلك.

إن أحد المعايير التي وضعها القرآن الكريم لتحديد صدق أو كذب أحد يدعي أنه يتلقى الوحي الإلهي هو ما نجده في قوله تعالى:

﴿قُلْ لَّوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوتُهُ عَلَيْكُم وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثتُ فِيكُم عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفِلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس: ١٧).

هنا يوجه القرآن انتباه الكفار إلى الطهارة الكاملة لحياة الرسول ﷺ حتى قبل تلقي الرسالة الإلهية، ليتبين لهم أن من عاش عيشة تقية طوال حياته فلن يبدأ فجأة، عندما يصل إلى سن النضوج الكامل، في اختراع الأكاذيب على الله.

وفي حالة حضرة مرزا غلام أحمد أيضا، في الوحي الذي أنزل إليه، وجه الله القدير الانتباه إلى طهارة حياته منذ البداية دليلا على صدق دعواه بنفس الكلمات التي استخدمت في القرآن الكريم بالنسبة إلى الرسول ﷺ، أي ﴿فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾ (نزول المسيح، ص ٢١٢). وإن حضرته بنفسه لفت انتباه الناس إلى طهارة حياته بالكلمات التالية:

"إنكم لا تستطيعون أن تشيروا إلى أي ذنب أو احتيال أو كذب أو خداع في حياتي السابقة حتى يمكنكم أن تقولوا إن

الذي استسلم للكذب و الاحتيال من قبل قد أضاف إلى كذبه السابق خدعة أخرى. مَن منكم يستطيع أن ينتقد أي شيء في حياتي السابقة. إنه لمن فضل الله أنه منذ البداية قد جعل حياتي على منهاج التقوى. وإن في هذا لآية لقوم يتفكرون." (تذكرة الشهادتين ص ٢٦).

وحقًّا لم يتهمه أحد أبدا طوال حياته بالتفوه بأي كذب. فلا يمكن التصور إذن أن الإنسان الذي كان قد عهد منه الصدق الكامل في كل نواحي حياته يكون قد اقترف هذا الذنب وكذب هذا الكذب الشنيع؛ بأن الله تكلم معه، والله تعالى لم يكلمه فعلا.

إن كل المسلمين يؤمنون إيمانا قويا بأنه طبقا لما قال القرآن الكريم إن الذي يختلق شيئًا من نفسه وينسبه إلى الله لا يمكن أن يفلح أبدًا، ومؤكد أن الله سيحبط عمله ويهلكه. وهذا الاعتقاد مبني على الآيات التالية من القرآن الكريم:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ* لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنْهُ الوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٥-٤٨).

وهذا تحذير يوقع الخوف والرهبة في نفس كل محتال جريء. قد يمكن أن يدعي الإنسان الضال ضلالا كاملا أو المعتوه أنه هو الله، ولا يصيبه أي ضرر مرئي. فقد ترضى الرحمة الإلهية

بالتغاضي عن شذوذه، لأن مثل هذا الإدعاء لا يمكن أن يضلل أو يحير أي إنسان عاقل. والحالة تختلف تماما عندما يدعي إنسان أنه يتلقى الوحي الإلهي. فإذا كان ادعاؤه كاذبا وهو متعمد مُصِرّ على ما يقول، فإنه قد يسبب في انتشار الإثم والضلال لكثير من الناس. ولذلك ذكر الله القدير في هذه الآيات تحذيره القوي الواضح بأن المحتال لن يفلت من غضبه وعقابه. ومنذ وقت الرسول ﷺ ظهر الكثير من الكذابين الذين ادعوا أنهم تلقوا الوحي الإلهي، ولم يحدث في أي حالة أن نجا أحد منهم من قدره المشؤوم المعلن في هذه الآيات، بل لحق قضاء الله بالمجرم في كل حالة، وهلك هلاكا على مرأى من الناس.

وحضرة مرزا غلام أحمد تلقى الوحي الإلهي بانتظام على مدى فترة تزيد بكثير على ٣٠ سنة. وقد حمل الوحيُ نفسُه عددا لا يحصى من الأدلة على أصالته وصدقه. وكان ممتلئا بالنبوءات العظيمة والبصيرة الروحانية والعلم الإلهي بالغيب والظاهر والبشارات للأصدقاء والإنذارات للأعداء والهداية الروحانية في أعلى مستوى.

وقد تعرضت حياته إلى كل المخاطر. فقد قيل لـــه أنه كافر ومرتد عن الإسلام. وقد أعلن علماء المسلمين أن في قتله ثوابًا عظيمًا، وأن من يتمكن من قتله يستحق الجنة. ومع ذلك لم يحفظ من العقاب الإلهي المعين جزاء للمحتال فحسب، بل مضى قدما من نصر إلى نصر طوال حياته. وكان واضحا أن الله أنعم عليه كثيرا بالمعنى الموجود في الآية السادسة من سورة الفاتحة: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِم﴾. فبجانب كونه أبعد ما يكون من التعرض إلى غضب الله على احتياله الجريء المزعوم، كما تصوَّر وادعى أعداؤه، فإنه قد مُنح ضمانا إلهيا بالأمان، بنفس الكلمات التي ضمن بها الأمان للرسول ﷺ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٨).

وهذا الضمان قد تحقق بالكامل في حقه كما تحقق في حق سيده الكريم رسول الله ﷺ. فلم يحفظ ويُعصم عصمة مادية فحسب، بل أيضا صان الله حريته وكرامته وشرفه بالكامل. فقد اتهم بالتهم الباطلة، وسيق إلى المحكمة بسببها. وفي كل قضية كان يبرأ ويخلى سبيله بشرف، وباءت كل خطط أعدائه الخبيثة بالفشل الكامل. وفي إحدى هذه القضايا اتهم بتهمة خطيرة: التآمر على القتل، ولكن إجراءات المحكمة أكدت على براءته

تماما؛ فلم تحبط مساعي أعدائه في خططهم الشريرة فقط، بل سببت لهم الإهانة الشديدة أيضا، حيث كان من الممكن أن تُرفع القضية ضدهم في المحاكم. ولكنه عليه السلام أعلن أن قضيته مرفوعة أمام العلي القدير، وأنه لن يتخذ أي إجراءات قانونية ضد أعدائه في محكمة الأرض.

ولقد قال الرسول ﷺ إن المسيح في بعثته الثانية سيدافع عن الإسلام وسيكسر الصليب، ويقتل الخنْزير. (أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال). وهذه النبوءة للرسول ﷺ قد تحققت بأسلوب مدهش على يد حضرة مرزا غلام أحمد الذي سماه الله في الوحي الذي أنزله عليه: "جري الله في حُلل الأنبياء" (التذكرة: ص ١٤٨). وقد اعترف حتى أعداؤه بدفاعه البارز عن الإسلام ضد النصارى. وقد كشف بقوة وشدة عن زيف زعم النصارى بأن عيسى مات معلقا على الصليب. وبذلك دمر كليًّا أساس عقائد النصارى عن الفداء والبعث والصعود بالجسم المادي إلى السماء. وبالتوجيه الإلهي استطاع أن يبين أن عيسى قد نجا من الموت على الصليب، ثم التقى بتلاميذه عدة مرات بجسمه المادي، ثم رحل عنهم، وسافر متنقلا بين البلاد التي تفرقت فيها القبائل المسماة خراف بني إسرائيل الضالة، بعد السبي البابلي. وفي النهاية استقر في كشمير حيث

توفي ودفن في "خانيار" وهي ضاحية في مدينة "سري نغر". وقد وضح كل هذا في كتابه "المسيح الناصري في الهند". ومنذ أن نشر هذا الكتاب أصبحت مقبرة عيسى في "سري نغر" مزارًا. ونتيجة لكشف حضرة مرزا غلام أحمد لخرافة موت عيسى معلقا على الصليب اعتبر بعض ذوي المراكز الرفيعة في الكنيسة أن عقيدة ألوهية عيسى هي في الحقيقة أسطورة. وبذلك كسر حضرته عليه السلام الصليب فعلا.

وبتأسيس الجماعة التي شعارها بأن الدين يجب أن تكون لـه الأولوية على كل المصالح الدنيوية، أعلن حضرة مرزا غلام أحمد الحرب على كل أنواع الرذائل والدنائس. وكان هذا هو القتل المجازي للخنزير. وقد عاش هو نفسه حياة بريئة طاهرة خَيِّرة تماما متأسيا بالأسوة والنموذج الذي أقامه الرسول ﷺ بأدق التفاصيل. وقد أسس جماعة كان على أفرادها أن يطبقوا في حياتهم اليومية كل القيم الاجتماعية والأخلاقية والروحانية التي ينادي بها الإسلام، والتي كان أسمى مثال لها حياةُ رسول الإسلام ﷺ. وقد جاءوا من كل الطبقات الاجتماعية. وهم رجال عاملون يقومون بالأعمال المفيدة في كل المجالات طبقا لتعاليم الإسلام. لا يرفضون الاهتمامات الطبيعية في الحياة. وهم مثال طيب للحياة الكاملة الناجحة المفيدة للغاية. والصفة المميزة

لحياتهم هي التمسك بالأخلاقيات والروحانيات وتفضيلها على المادة في نموذج متناسق مفيد. وكما يعلمهم الإسلام يؤمنون بأن الكفاءات والطاقات التي أنعم الله القدير بها على الإنسان، هي نعمة ثمينة يجب تطويرها للاستفادة منها واستخدامها في محلها الصحيح، ويجب أن لا تقمع أو تبطل. والدستور الأخلاقي والروحاني الذي يطلبون العمل بموجبه لا يفرض عليهم أي عرقلة. وبفضل الله ورحمته ظهر من بينهم أشخاص ذوو مكانة عالية في أغلب مجالات الحياة البشرية.

وبفضل الله نَعِمَ حضرة مرزا غلام أحمد بالمعرفة الواسعة، والفهم العميق للقرآن الكريم، وبالبراعة المعجزة في اللغة العربية، والبصيرة الخارقة للعادة بالأسرار الإلهية التي ينعم بها رسل الله فقط. وهذا طبقا للقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن: ٢٧و٢٨)

وبيَّن في كتابه "منن الرحمن" أن اللغة العربية هي أم اللغات. وقد كانت هذه مفاجئة سارة حتى على مؤلفي المعاجم العرب المرموقين. ولكنه لم يدَّعِ أبدا أنه أتى بشيء من عنده. فقد أكد تكرارا أن كل فضل قد أنعم عليه كان من الفيض الروحاني للرسول ﷺ الذي كان حضرته هائما ومخلصا في الولاء

لـــه ﷺ. وقد عبر عن حبه المشتعل للرسول ﷺ بالنثر والشعر المثيرين للمشاعر باللغات العربية والفارسية والأردية.

وقد كان حبه وولاؤه للقرآن الكريم بمثل حبه العظيم وولائه الكامل للرسول ﷺ. ولقد أنذر الناس بأن أسلوب الحياة البشرية كان على وشك أن يصاب من نواحٍ جوهرية، وأن الله قد أقامه حتى يبين، تحت التوجيه الإلهي ومن القرآن الكريم، الهدايةَ والفلسفة التي سيحتاجها البشر في هذا العصر. وبذلك يوطد سيادة الإسلام على كل الأديان الأخرى. وقد تنبأ بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

ويمكن تكوين فكرة بسيطة عن عظمة الخدمة التي قام بها في هذا المجال بمطالعة كتابه "فلسفة تعاليم الإسلام"، وقد ألقي كمحاضرة في مؤتمر الأديان الذي عقد في لاهور في الأسبوع الأخير من ديسمبر ١٨٩٦م.

وفي الختام وعلى سبيل المثال يمكن ملاحظة الأسلوب المدهش الذي تحققت به إحدى النبوءات المبكرة الموحاة إليه التي ما زالت تتحقق إلى الآن؛ فقد كان ينتمي إلى قاديان التي كانت

قرية صغيرة في أكثر المناطق تأخرا في الهند. وكانت تبعد ١١ ميلا عن أقرب مكتب للتلغراف ومحطة سكة حديد، و٣٥ ميلا عن أقرب مدينة فيها مطبعة. وفي هذا الوضع عندما كان غير معروف للعالم ولم يكن لــه أي موارد مادية، جاءته الدعوة الإلهية بأن عليه أن يعد نفسه لخدمة الإسلام وليبين سيادته على كل الأديان الأخرى. وقد عزَّاه الله بالتأكيد أنه سيبلِّغ رسالته إلى أطراف الأرض. (التذكرة، ص ١٨٤).

وبالمعايير الدنيوية بدا هذا وكأنه تفاخر إنسان معتوه، بيد أن بعض أتقياء النفوس قد لبّوْا دعوته منذ البداية، وبالرغم من السخرية وأنواع الاضطهاد أصبحوا مثالا طيبا لقوة الإيمان والإخلاص والولاء والطهارة في الحياة. ولكن التقدم كان بطيئا، وعند وفاته عام ١٩٠٨م لم يزد عدد أفراد جماعته عن نصف مليون ولم تخرج رسالته عن حدود الهند إلا قليلا. ومع ذلك وبالرغم من المعارضة الشديدة التي لاقتها جماعته والاضطهاد العنيف الذي تعرض لــه أتباعه القليلون المخلصون، فقد انزعج أعداؤه بشدة من الزيادة اليومية في أعدادهم. وقد تنفّسوا الصعداء عند وفاته، لأنهم اعتبروه ضلالا دينيا خطيرا كان سيلقى الآن هلاكه الطبيعي، ولن يحتاجوا أن يحسبوا له أي حساب بعد ذلك. ولكن تعالوا نر ما حدث بالفعل.

لقد تأسست الجماعة الإسلامية الأحمدية عام ١٨٨٩م. وقد أعلن حضرة مرزا غلام أحمد أنه المهدي والمسيح الموعود في بداية عام ١٨٩١م. وعند وفاته لم يزد عدد اتباعه عن نصف مليون، وقد عاش القليل منهم خارج الهند.

واليوم فقد بلغ عدد أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية حوالي ١٠ ملايين. وهذا العدد يتزايد باستمرار وبصورة مدهشة. وقد تأسست فروعها في العالم في كل القارات. وتعتبر أنشط الجماعات التبشيرية الإسلامية. وأفرادها مثال فريد للتمسك بالقيم الأخلاقية والروحانية للإسلام. وهذا ليس بعمل البشر. إنه تجلٍّ لفضل الله.

وليس لدى أعدائها ما يقدمونه إلا المعلومات المشوشة السخيفة. وقد اتصفوا بالانحراف مما سبب هلاكهم. وهم محرومون من روح التقوى التي وحدَها تبعث الحياة وتمنحها. وهذه الروح يمكن إحياؤها وتنميتها فقط بفضل الله تعالى الذي يمكن أن يناله الإنسان بالصبر والصلاة كما يوجهنا القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٦).

والسبب الأساسي في الانحراف الذي أصاب المسلمين هو ابتعادهم عن الله وسعيهم وراء الحلول التي ابتكروها من

أنفسهم. إن العلاج الحقيقي الفعال هو أنه يجب عليهم أن يتجهوا إلى الله ويتمسكوا به ويتبعوا خططه في كل ناحية بدلا من ابتكارهم حلولاً من عند أنفسهم.

ندعو الله تعالى أن يمكننا برحمته وفضله من أن نتبع بتواضع وإخلاص الهداية التي أمدنا بها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حتى نصبح وسيلته لإتمام السيادة المجيدة للإسلام، آمين.

*****

نبذة من حياة المؤلف



ولد الحاج السيد شودري محمد ظفر الله خان لأبوين كريمين هما السيد شودري نصر الله خان والسيدة حسينة بيبي في السادس من شهر فبراير/شباط سنة ١٨٩٣م في مدينة "سيالكوت" في ولاية "البنجاب" بالهند.

بدأ تعليمه في مدينة "لاهور"، وأكمل المراحل العليا في جامعة "لنفر" بلندن، وحصل على شهادة المحاماة. فعاد إلى وطنه الهند، واشتغل فترة في القضاء، ثم رئيسا لتحرير جريدة "قضايا الهند" لسنوات طويلة.

عُيِّن عضوا في المجلس التشريعي الإقليمي في "البنجاب".

اُختير في عام ١٩٣١م رئيسا للرابطة الإسلامية الهندية، وهي التي طالبت باستقلال الهند وتأسيس باكستان كدولة مستقلة للمسلمين.

في سنة ١٩٣٥م عُين وزيرا للتجارة في مجلس الحاكم العام للهند، ثم وزيرا للعدل، ثم وزيرا للتموين.

في سنة ١٩٤١م عين قاضيا في المحكمة العليا الفدرالية في الهند.

في سنة ١٩٤٢م رأس وكالة حكومة الهند بالصين.

في سنة ١٩٤٧م تقبل دعوة مؤسس باكستان محمد علي جناح للتعاون معه كوزير الخارجية الباكستانية، وبقي يشغل هذا المنصب عدة سنوات.

ثم عين ممثلا لبلاده في الأمم المتحدة.

ثم انتخب رئيسا للدورة السابعة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة، وبرز كأبلغ خطيب عرفته هيئة الأمم المتحدة. وقد استغرقت بعض خطاباته سبع ساعات تقريبا منها ثلاث ساعات متواصلة بلا انقطاع أثناء مناقشة قضيتي فلسطين وكشمير. ويشهد له معارفه وأقرانه بأنه صاحب حجة ومنطق سليم

وهدف واضح، متعمق في العلوم الإسلامية، ويقتبس كثيرا من الآيات القرآنية في خطبه. وشهد لـــه بعض رجالات مصر بأنه المسلم الوحيد الذي كان يصلي الفرائض الخمس في أوقاتها بقاعات وأروقة هيئة الأمم المتحدة حتى لو اضطر أحيانا إلى ترك الجلسة أثناء انعقادها.

انتخبته الأمم المتحدة قاضيا دوليا في محكمة العدل الدولية في "لاهاي" في السادس من فبراير/شباط سنة ١٩٦٤م (يوم ولادته).

بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٨م انتخبه زملاؤه القضاةُ الدوليون السبعة عشر رئيسا لمحكمة العدل الدولية.

بتاريخ ١٩٦٧/٣/١٠م قام بأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة وزيارة قبر النبي ﷺ في المدينة المنورة. وكان أثناء الحج ضيفا على الملك السعودي الراحل فيصل، وفتح لـــه الملك فيصل أبواب الكعبة المشرفة.

قام بأعمال جليلة يحتاج لتفصيلها لمجلدات خدمةً للإسلام والإنسانية، وأختصر بذكر القليل منها لتكوّن للقارئ الكريم فكرة عن السبيل الذي سلكه لإظهار الإسلام خدمة لبني البشر وهداية لهم. ومن تلك الأعمال ترجمة القرآن المجيد إلى اللغة الإنجليزية، وترجمة ما يزيد عن ألف وتسعمائة حديث مجموعة في كتاب "***رياض الصالحين***"، وترجمة كتب عديدة لسيدنا أحمد المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام. وألف كتبا شتى من

أبرزها كتابه الشهير" ***محمد خاتم النبيين ﷺ*** " و" ***دعوة الإسلام*** " و" ***الإسلام وحقوق الإنسان*** " و" ***حقوق المرأة في الإسلام*** " و" ***سيرة الخليفة الأول*** "و" ***سيرة الخليفة الثاني*** " لسيدنا المهدي والمسيح عليه السلام، وكتابه " ***النجاة من الصليب*** " وغيرها من الكتب التي انتشرت في مختلف البلاد، ويُعَدّ بعضها مرجعا للدارسين والباحثين في العديد من المعاهد والجامعات.

كان يغتنم أوقات فراغه لإشاعة الإسلام ومبادئه السمحة بالمحاضرات في أماكن عديدة، من واشنطن إلى الجامعة الأمريكية في بيروت. وما زلتُ أحتفظ له بخبر نقلته جريدة محلية بأنه ألقى خطابًا في ١٩٥٤/١١/١م بواشنطن أمام جمع من اليهود والنصارى، وكان موضوعه: " ***علاقة الإنسان بأخيه الإنسان والأخوة الإسلامية*** ."

كان عمره عند وفاة سيدنا أحمد عليه السلام خمسة عشر عاما، ولذلك يعد من أصحابه. ولقد وافاه الأجل في ١٩٨٥/٩/١م في "لاهور"، باكستان، رضي الله عنه وأرضاه.

وإليكم بعض الشهادات التي صدرت بحقه رضي الله عنه.

كتبت جريدة *الأهرام* القاهرية بتاريخ ١٩٥٢/٦/٢٧م ما يلي:

مواقف يفخر بها الشرق

١. "تحدث أحد ممثلي مصر في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة عن موقف يفخر به الشرق كله وَقَفَه السيد محمد

ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان. ففي الجمعية العمومية للأمم المتحدة ألقى عن فلسطين الشهيدةِ خطبةً استغرقت ثلاث ساعات كاملة لم يتناول خلالها جرعة ماء واحدة.. وأثبت قوةَ إيمانه بالدين الإسلامي وبالوطن العربي. ولقد بكى واستبكى.. وشهد لـــه الجميع بأنه رجل عظيم، مسلم كريم، وطني صميم، سياسي حكيم، ومتمكن من اللغة الإنجليزية كأحد أبنائها من العلماء الأفذاذ".

وأضافت الجريدة قولها استنادا إلى المعلومات التي تلقتها من مصادر موثوقة الاطلاع: "ولعل صاحبنا السيد محمد ظفر الله خان هو الشخص الوحيد من الشخصيات السياسية البارزة في الوقت الحاضر في العالم الذي لا يفارقه القرآن المجيد أبدا. ويصلي خمس صلوات مستقبلا القبلة الشريفة تحت كل سماء وفوق كل أرض وفي جو السماء حيث تحمله الطائرات من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. ولا يتأخر عن بيان فضائل الإسلام ومحاسنه بالقلم واللسان، والعمل بأحكامه حتى في قاعات الأمم المتحدة".

٢. قال عنه سعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية:

"ظفر الله خان رجل مسلم لم نشهد عليه إلا قولا حسنا وعملا حسنا. وقد أوتي حظا كبيرا في الدفاع عن الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وله مواقف دولية مشهورة دفاعا عن الإسلام

قدرها الناس، وشكره عليها المسلمون. وهو كذلك من أكفأ رجال الإسلام لتولي الشؤون العامة".(*جريدة الأخبار القاهرية عدد ٢٣/٦/١٩٥٢م*).

٣. كتبت جريدة "*المصري*" في عددها الصادر يوم ٢٧/٦/١٩٥٢م ما يلي:

"إن ظفر الله خان أحد رجال الدول الإسلامية القلائل في العصر الحديث بل هو في الصدارة منهم. فهو الرجل الذي درس السياسة، ولم يسلك سبيله فيها على قواعد سياسية نظرية، وإنما أخضع ثقافته السياسية لفكرة القرآن ولنظرة الإسلام في تكوين الدولة، وسار بمنهاجه العصري الفريد الذي يجمع بين آراء العصر ونظرة الإسلام.

وظفر الله خان هو الرجل الذي درس الاقتصاد ووازنَ ماليةَ أمةٍ كبيرة العدد، كبيرة الغايات والأغراض، قريبة عهد الانسلاخ من دواليب الاستعمار الاقتصادي. ولم يقم لتطبيقه للنظام الاقتصادي على علوم الاقتصاد المجردة، وإنما أخضع ثقافته الاقتصادية لثقافة الإسلام، ونظرته الشاملة لبناء الدولة الإسلامية من حيث حقوق الأفراد وواجباتهم نحو الدولة وموازنة ذلك بحقوق الدولة وواجباتها نحو الأفراد".

٤. قال سعادة أحمد خشبة باشا:

"إن الخدمات التي أداها السيد ظفر الله خان للإسلام والمسلمين والتي لا تحصى، لا يمكن إلا أن تكون محل تقدير وإعجاب من الجميع." *(جريدة "الزمان" عدد ١٩٥٢/٦/٢٥م)*

لقد كانت عزة الإسلام وكرامته أغلى وأرفع هدف يتمناه في قلبه وعقله وذهنه، ويعمل من أجله طيلة أيام حياته. وفي كل مناسبة كان يواجه فيها أي انتقاد عن الإسلام، كان باستطاعته إفحام المنتقد بما وهبه الله تعالى من علم ومعرفة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وبأسلحة البراهين الساطعة والدلائل النيرة التي زودنا بها حضرة أحمد المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام على صدق الإسلام وطهارة تعاليم القرآن المجيد.

وقد آلمتْهُ الانتقادات التي كان يواجهها من أتباع مختلف الديانات والملل ضد المسلمين ورؤسائهم وملوكهم بسبب سلوكهم المنافي لتعاليم القرآن، والذي وصل في بعض الحالات إلى الفسق والفجور السافر بلا خجل ولا حياء ولا تأنيب من ضمير، ناهيك عن خشية الله التي لم يبقَ منها شيء في قلوبهم، وكانت وسائل الإعلام في العالم تنشر مثل هذه الأخبار، ولم يكن بوسعه إلا إسداء النصيحة والموعظة لمن أتيحت له فرصة الاجتماع بهم ومحادثتهم والدعاء إلى الله تعالى لهدايتهم.

هذه لمحة وجيزة خاطفة ونبذة من حياة ذلك الإنسان المؤمن البار الذي تحلى بتقوى الله، وكان من عباده المخلصين. خدم الإسلام

وأهله وقومه والإنسانية جمعاء بأمانة وإخلاص ووفاء. وأثبت بمواهبه وجرأته وتواضعه وبلاغته، صدق الإسلام وأفضليته وصلاحيته المثلى كسبيل وحيد يحتذى به لخير وسعادة البشرية جمعاء وكقانون إلهي كامل متكامل منفرد بكماله، يؤدي تطبيقه الحقيقي عمليا بمعانيه "الأصلية السليمة"، إلى ما تنشده البشرية جمعاء، على اختلاف معتقداتها ونحلها وأقوامها وشعوبها من حرية وإخاء وأمن وسعادة ورخاء وعدل حازم وسلام ثابت دائم.

*****